جداً ان نتابع ـ ولو باقتضاب سريع ـ تطور ميزان القوى البرلماني بين الحزبين الكبيرين، الى ان وصل الى الوضع المعقد الحالي، وما ترتب على ذلك من حالة عدم تكافؤ في القدرة على الفعل السياسي، الأمر الذي حوّل الليكود الى الحزب الاقدر على صنع السلام، وكذلك على احباط مسيرته.

بعد سنوات طويلة من الهيمنة العمّالية بقيادة حزب مباي، ثم العمل لاحقاً، على مقاليد السلطة في اسرائيل، بدأ اليمين «القومي» في اسرائيل، ممثّلاً بتكتل غاحال، ثم الليكود، مسيرته نحو السلطة في اعقاب حرب العام ١٩٦٧. وساهمت في هذه المسيرة، التي استغرقت عشر سنوات، عوامل عديدة، ابرزها مسار الانزلاق نحو طروحات وايديولوجية اليمين القومي داخل المجتمع الاسرائيلي، بعامة، وداخل معسكر الاحزاب العمالية وحلفائها في المعسكرين، الديني والليبرالي. فالهزيمة العسكرية التي انزلتها القوات الاسرائيلية بالجيوش العربية في حرب العام ١٩٦٧، والتي ترتب عليها احتلال القوات الاسرائيلية لما تبقى من ارض فلسطين الانتدابية، جدّدت الجدل داخل المعسكر الصهيوني بشأن «ارض ـ اسرائيل الكاملة». فقد رأى حزب العمل، وحلفاؤه، ان نتائج الحرب (احتلال الضفة وقطاع غزة ومساحات أخرى من الارض العربية في سيناء والجولان) خلقت فرصة ذهبية لاسرائيل باستخدام المناطق المحتلة ورقة مساومة لانجاز تسوية سلمية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي، تضمن لاسرائيل تحقيق انجازين استراتيجيتين: الاول، ارغام الدول العربية على الاعتراف باسرائيل وبحقها في الوجود؛ والثاني تصفية القضية الفلسطينية، في سياق مساومة تاريخية جديدة مع الاردن، تؤمن لاسرائيل احتياجاتها الأمنية، من جهة، وتحررها من الاخطار الديمغرافية الكامنة في ضمّ الاراضي الفلسطينية وسكانها واخضاعهما للسيادة الاسرائيلية، من جهة أخرى. ومثل هذا الضمّ ـ وفقاً لوجهة نظر حزب العمل ـ محفوف بالمخاطر؛ اذ سوف يحول الدولة اليهودية الى دولة ثنائية القومية، في حال منح الفلسطينيين حقوقاً سياسية أسوة باخوتهم داخل «الخط الاخضر»، أو سوف يحولها الى دولة على غرار النظام العنصري في جنوب افريقيا، اذا لم تمنحهم تلك الحقوق، وبالتالي فان سمعتها ومكانتها، كدولة «ديمقراطية، سوف تتعرضان للاهتزاز.

في المقابل، كانت رسالة اليمين القومي، وخطابه السياسي، يرتكزان على رفض الانسحاب، تحديداً من الضفة والقطاع، على اعتبار انهما جزء من ضفة نهر الاردن الغربية، التي تشكل مع الضفة الشرقية «ارض ـ اسرائيل الكاملة» في حدودها، غرباً وشرقاً. وخلافاً لحزب العمل، فقد اعتبر مجرد الاستعداد لتقديم تنازلات اقليمية في «ارض ـ اسرائيل» يشكّل طعناً في شرعية الوجود الصهيوني كله. فاذا كانت نابلس والخليل، على سبيل المثال، أرضاً محتلة، فكذلك الامر هو بالنسبة الى حيفا واللد والرملة. أما موضوع السلام مع المحيط العربي، فكان شعار الليكود بهذا الشأن «السلام مقابل السلام».

وفي ظل اجواء النشوة بالانتصار العسكري، والبناء الايديولوجي الجامع والموحّد للاحزاب والتيارات الصهيونية المختلفة، والمتمحور في «الحقوق التاريخية الطبيعية» لليهود في ما يسمى «أرض ـ اسرائيل»، وغيرها من الاساطير الدينية الكامنة في صلب العقيدة الصهيونية، كانت رسالة «أرض ـ اسرائيل الكاملة» هي الرسالة الاقدر على استقطاب الجمهور الاسرائيلي. ووجد هذا الأمر تجسيداً ملموساً له في انقسام حزب العمل على نفسه في هذا الموضع. فعلى الرغم من التقاء جناحي الحزب (بالمصطلحات السياسية الاسرائيلية، جناح «الحمائم» وجناح «الصقور») حول الموقف الرافض للضمّ الفوري للضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل، فان جناح «الصقور»، بزعامة موشي دايان، في مطلع السبعينات، طرح المساومة مع الاردن، على أساس التقاسم الوظيفي للسلطة في المناطق